المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة

الجمهورية العراقية

المجلد السادس عشر - العدد الثالث ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

WWW.ATTAWEEL.COM

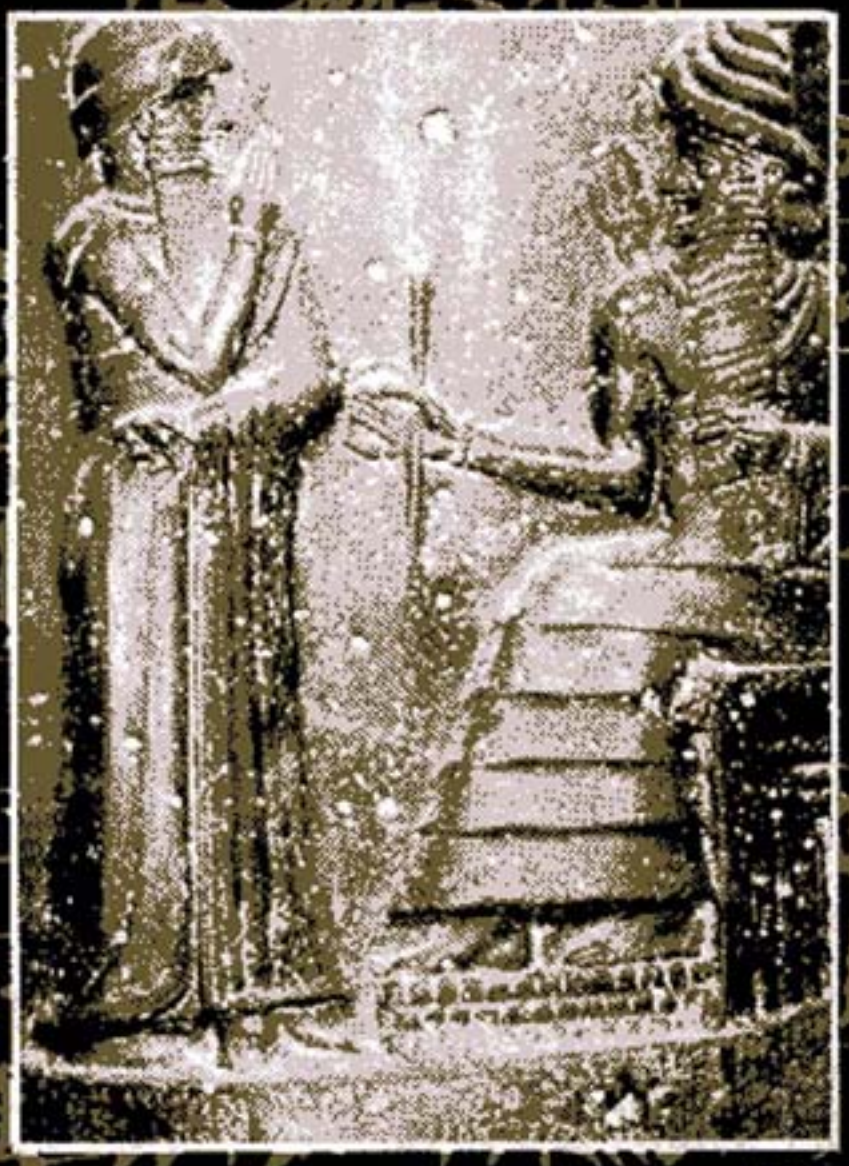

ملف خاص:

حضارة بابل

أسد البابليين محمد

المنجزات السياسية والعسكرية
في عصر فجر السلالات السومرية

فاضل عبد الواحد علي
كلية الآداب/جامعة بغداد

١ ـ مقدمة :ـ

شهد العصر الحجري الحديث (في حدود ٩٠٠٠ ـ ٥٥٠٠ ق.م) منجزات مهمة كان لها اثر فعال في تقدم البشرية . ففي هذا العصر توصل الانسان الى الزراعة وتدجين الحيوان مما ادى الى ظهور المستوطنات والقرى الزراعية الاولى . فقد كشفت التنقيبات الاثرية في جرمو الى الشرق من مدينة جمجمال ، والتي تعتبر من اقدم القرى الزراعية في بلاد وادي الرافدين ، عن بقايا من الحبوب التي زرعها انسان هذا العصر مثل الحنطة والشعير والعدس والحمص . كما عثر على بقايا الحيوانات المدجنة كالمعز والغنم والخنزير ، هذا بالاضافة الى القواقع التي كانت تشكل عنصراً مهماً في غذاء الانسان . وفي هذا العصر اخذ الانسان يبني بيوته بالطين على اسس من الحجارة ويجعل لها سقوفاً من الخشب والقصب . كما حدث تطور في صناعة الادوات التي كان يستخدمها الانسان في حياته اليومية كالمناشط والسكاكين والابر كما تقدمت معرفة الانسان بالغزل وحياكة المنسوجات بدليل العثور على اقراص للمغازل مصنوعة من حجر الصوان . وفي هذا العصر أيضاً بدأت تتبلور بعض المعتقدات الدينية عند الانسان بدليل أنه صنع دمى يمثل بعضها حيوانات مختلفة ، وبعضها الآخر على شكل نسوة حبالى بارداف بدينة ترمز الى قوى الخصب والتكاثر في الطبيعة، ويقترن هذا العصر بظهور اقدم انواع من الفخار الذي كان مسجاً ومصنوعاً باليد ولكنه لم يلبث ان تحسن وبلغ درجة كبيرة من التطور في الادوار اللاحقة .

تلا دور جرمو ادوار اخرى هي حسونة وسامراء وحلف (نسبة الى تل حلف على الخابور) . وفي هذا الدور الاخير بلغت صناعة الفخار درجة كبيرة من التطور والرقي من حيث رقة الاواني وجمال الالوان والزخارف وتعدد الاشكال بحيث يمكن القول ان فخار حلف يعتبر من اجمل ما صنع الانسان في تاريخ الحضارات القديمة . ومما زاد في روعة فخار حلف تعدد الوانه (الاصفر ، البرتقالي ، الاحمر ، الاسود) وزخارفه (الحيوانية ، النباتية ، الهندسية) . كما يتميز هذا الدور بظهور بداية التعدين واستعمال المعادن كالنحاس والرصاص. غير ان فن التعدين ولا سيما تعدين النحاس لم يلبث ان قطع مرحلة من التطور في الدور اللاحق وهو دور العبيد (٤٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م) كما يتضح ذلك من الفاس النحاسية التي عثر عليها في موقع تبه كورا بالقرب من مدينة الموصل ، غير ان اهم المنجزات الحضارية التي حدثت في نهاية الالف الرابع قبل الميلاد (٣٢٠٠ ـ ٣٠٠٠) كان اختراع الكتابة في سومر والتي عثر على اقدم نماذج منها في الطبقة الرابعة من مدينة الوركاء . وقد استعملت الكتابة في اطوارها الاولى ، اي عندما كانت مجرد علامات صورية ، في تدوين قوائم بواردات المعبد وبتعبير آخر انها لم تستعمل بعد لتدوين نصوص تاريخية او قضايا من الحياة اليومية للمجتمع . لذلك اطلق المختصون تسمية « العصر الشبيه بالكتابي » على دور الوركاء الرابع (الذي ظهرت فيه الكتابة لاول مرة) ودور جمدة نصر اللاحق وكذلك الدور الاول من عصر فجر السلالات (اي الفترة الواقعة في حدود ٣٢٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م) حيث كانت الكتابة لم تزل في اطوارها الاولى اي مجرد علامات صورية ذات مضامين محددة خالية من

الاخبار التاريخية . لكن الكتابة لم تلبث ان قطعت خطوة الى امام ابتداءا من عصر فجر السلالات الثاني (في حدود ٢٧٠٠ ـ ٢٥٥٠ ق.م) اذ يعتبر هذا العصر بداية لمايعرف بالعصر التاريخي حيث بدا السومريون يستخدمون الكتابة لتدوين جوانب من حياتهم اليومية كما بدات السجلات التاريخية بالظهور حيث شهد هذا العصر ظهور اولى السلالات التاريخية الحاكمة مثل سلالة كيش الاولى والوركاء الاولى .

٢ ـ عصر فجر السلالات السومرية :ـ

اصطلح الآثاريون على تسمية الحقبة الزمنية الممتدة من ٢٨٠٠ الى ٢٣٧٠ ق.م بـ « عصر فجر السلالات » الذي شهد قيام اولى السلالات الحاكمة في بلاد سومر والذي قسموه الى ثلاثة ادوار رئيسية . وعلى الرغم من ان معلوماتنا ما زالت ضئيلة عن التكوينات السياسية المبكرة في الدور الاول من عصر فجر السلالات فان هناك من الباحثين من يعتقد بان بعضا من سلالات ما قبل الطوفان الوارد ذكرها في قائمة الملوك السومرية ربما حكمت في هذا الدور من عصر فجر السلالات . وعلى اية حال فان معلوماتنا عن الاوضاع السياسية في البلاد تبدا بشكل تدريجي مع بداية الدور الثاني من هذا العصر ثم انها تزداد وضوحا بزيادة الوثائق التاريخية في الدور اللاحق اي الدور الثالث من عصر فجر السلالات .

من الوجهة السياسية يقترن عصر فجر السلالات بظهور ما يعرف بدويلات المدن السومرية (city — state) التي كان قوام كل واحدة منها مدينة رئيسية هي العاصمة وعدد من المدن والقرى والارياف التابعة . وكان للمعبد في هذا العصر ، وفي العصور السابقة ايضا ، دور كبير في النواحي الدينية والاقتصادية والسياسية والادارية . فمن الوجهة الدينية يعتبر المعبد المكان المقدس لعبادة الآلهة واقامة الطقوس والشعائر الدينية ، والراجح في نظر الباحثين ان كهنة المعبد كانوا اقدم حكام في المجتمعات البشرية المتحضرة ، حيث كان الكاهن الاعظم (في السومرية EN) يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية . وفي وقت لاحق من عصر فجر السلالات ، لا نستطيع تحديده بالضبط ، بدات السلطتان الدينية والدنيوية بالانفصال عن بعضهما بظهور الامير او حاكم المدينة (في السومرية ENSI) الذي اختص بالسلطة الدنيوية باعتباره مفوضا للحكم من الآلهة . وفي مرحلة لاحقة اخرى من هذا العصر ظهر لقب « ملك » (في السومرية (lugal)) كدلالة على خطوة اخرى متطورة في نظام الحكم حيث استطاع « الملك » بسط نفوذه على دويلات المدن الاخرى وجعلهم تابعين له .

لقد شهد هذا العصر ، كما قلنا ، ظهور سلالات سومرية عديدة هي سلالة كيش والوركاء واور ولكش و اوما . وكان طبيعيا في ظل هذه التجزئة السياسية ان تتضارب مصالح دويلات المدن فتنشب بينها الحروب اما لاسباب سياسية عندما يحاول بعضها فرض سيطرته على الدويلات الاخرى او لاسباب سياسية ـ اقتصادية عندما يكون النزاع بسبب اراضي زراعية معينة او الحصول على المياه لإرواء الحقول والمزارع . ومع ذلك فان الاتجاه نحو توحيد دويلات المدن لاقامة دولة القطر الكبرى كان دائما واضحا في الأفق . وقد استطاع بعض من حكام دويلات المدن السومرية في هذا العصر من بسط نفوذهم خارج بلاد سومر فوصلوا في فتوحاتهم شرقا الى بلاد عيلام وغربا الى منطقة ماري (تل الحريري) على الفرات مثلما فعل « ايناتم » امير سلالة لكش الاولى (في حدود ٢٥٠٠ ق.م) ، على ان اللبنة الاولى لاقامة دولة القطر كان قد وضعها الملك السومري « لوكال زاكيزي » الذي استطاع خلال حكمه البالغ زهاء ٢٥ عاما اخضاع دويلات المدن السومرية وبسط نفوذه على منطقة واسعة من الشرق الادنى القديم : « من البحر الاسفل (الخليج العربي) الى البحر الأعلى (البحر المتوسط) » كما جاء في نص فتوحاته . غير ان عصر « لوكال زاكيزي » جاء الى نهايته ومعه عصر فجر السلالات ايضا وذلك بظهور الملك سرجون الاكدي (٢٣٧١ـ٢٣١٦ق.م) الذي استطاع ان يقيم واحدة من اقدم الامبراطوريات في التاريخ القديم .

٣ ـ المنجزات السياسية والعسكرية في ضوء الوثائق السمارية :

اذا ما استثنينا الحرس الخاص لأمراء ودويلات المدن الذين يفترض وجودهم في هذا العصر المبكر ، فان كل دويلة من دويلات المدن السومرية كان فيها جيش (غير دائم) مهمته الدفاع عن حدودها وللقيام بحملات عسكرية محدودة في اراضي العدو كلما اقتضى الأمر ذلك . وعلى

الرغم من انه لا تتوفر لدينا ارقام عن حجم الجيش في دويلة المدينة السومرية الذي كان يمكن استنفاره عند الحاجة ، ولكن يمكننا تخمين ذلك بصورة تقريبية من خلال معرفة عدد سكان دويلة المدينة نفسها . ومما يذكر في هذا الشان ان المختصين يقدرون سكان دويلة مدينة لكش التي حكمت في اواخر عصر فجر السلالات في حدود ١٠٠ الف نسمة في حين يتراوح سكان العاصمة لكش بين ٢٠ ـ ٣٥ الف نسمة .

يتضح من الكتابات التاريخية التي وصلتنا من ملوك وامراء السلالات الحاكمة في عصر فجر السلالات انها كانت متعاصرة مع بعضها ، وقد ادى هذا التعاصر ، كما اسلفنا ، الى نشوب حروب بين تلك السلالات مثلما حصل لسلالة الوركاء في زمن ملكها كلكامش وسلالة كيش في زمن ملكها « اجا » . غير ان اهم الوثائق المسمارية عن الاوضاع السياسية في عصر فجر السلالات تلك التي وصلتنا من حكام سلالة لكش الاولى ابتداءً من «اياناتم» وانتهاءً بآخر امراء هذه السلالة المسمى «اورو انمكينا»، اي ان هذه الوثائق تغطي فترة زمنية تقدر بقرن من الزمن تقريبا (٢٣٢٥ ـ ٢٤٢٥ ق.م) . يضاف الى ذلك الوثيقة السومرية الشهيرة التي وصلتنا من الملك «لوكال زاكيزي» (في حدود ٢٤٠٠ ـ ٢٣٧١ ق.م) عن اعماله العسكرية التي ادت الى فرض سيطرته على دويلات المدن السومرية في الداخل والى بسط نفوذه على مناطق واسعة في الخارج كما اشرنا الى ذلك قبل قليل . ومن اجل اعطاء خلاصة مركزة عن محتويات هذه الوثائق دون الخوض في تفاصيل جانبية ، نرى انه من المفيد ابراز اهم النقاط ذات المضامين السياسية والعسكرية فيها :

ا ـ الوثائق السومرية الخاصة بالامير « ايانائم » :

١ ـ يتضح جليا من كتابات الامير « ايانائم » ان مبدا التفويض الالهي كان الاساس الذي تقوم عليه نظرية الحكم في بلاد وادي الرافدين . فالنعوت العديدة التي خلعها هذا الحاكم على نفسه ، والتي بقيت في الاستعمال، وان اختلفت وتعددت ، في زمن الامراء والملوك الذين جاؤا من بعده ، تدل على ان الحاكم ما هو إلا ممثل للآلهة في حكم البشر . يقول «ايانائم» في احدى وثائقه: « ايانائم ، امير لكش ، الذي دعاه الاله انليل والذي اعطاه القوة الاله ننكرسو ، المختار لقلب الآلهة نانشه ، هو الذي ... ع الحليب الطاهر من الآلهة ننخرساك والذي سمته الآلهة انانا باسم حسن واعطاه الاله انكي الحكمة ، محبوب الاله دموزي ـ ابسو وموضع ثقة الاله خندور ـ رساكا ... » .

٢ ـ يرد في كتاباته التاريخية ذكر قائمة بالعديد من المدن السومرية التي فرض عليها سيطرته ومن جملتها مدينة اوما التي سيكون للصراع معها شان عظيم في زمن خلفائه .

٣ ـ اما فتوحاته خارج بلاد سومر فانها شملت باتجاه الشرق بلاد عيلام التي وصفها بكونها « الجبال الشاهقة » . كما شملت باتجاه الغرب منطقة ماري على الفرات . وتعتبر هذه من الاشارات التاريخية المبكرة والموثقة في مجال الفتوحات العسكرية الخارجية .

٤ ـ جدير بالملاحظة ان النص السومري يعبر عن معنى « قهر » و « فتح » بمصطلح لغوي مركب في السومرية معناه « ضرب بالسلاح » مسبوقا باسم المدينة المفتوحة ، ثم يلي ذلك الاشارة الى تكديس جثث الاعداء في ارض المعركة على شكل اكوام يصل عددها الى عشرين احيانا .

٥ ـ لاول مرة ترد الاشارة في وثائق «اياناتم» الى « الراية » وكونها « مرفوعة في المقدمة » ، حيث نقرا في احدى الفقرات انه قهر امير مدينة (اورو) الذي رفع الراية (في السومرية (Gim)) في مقدمة جند مدينته» .

ب ـ وثائق الامير انتمينا :

١ ـ يعتبر النص السومري المطول الذي وصلنا من انتمينا ، امير سلالة لكش الاولى، والذي ارخ فيه للصراع بين مدينته لكش ومدينة اوما المجاورة ، اقدم محاولة لتدوين التاريخ ، اذ ان هذا الامير السومري لم يكتف اوما ، لكنه استقصاه من جذوره القديمة التي تعود الى عدة اجيال سبقت عصره ، ذاكراً تفاصيل تاريخية وافية عن الاتفاقات التي تمت لتسوية الخلافات بين امراء لكش وامراء اوما في هذا المجال . وبهذا يعتبر انتمينا في نظر الباحثين اقدم «مؤرخ» في التاريخ .

٢ـ لاول مرة ايضا يسجل نص انتمينا الذي نحن في صدده الآن سابقة جديدة وهي اللجوء الى مبدا التحكيم بين الاطراف المتنازعة . فهو يذكر ان مسليم ، ملك مدينة كيش ، قام بقياس الاراضي الزراعية المتنازع عليها وعين بالانصاب والمسلات خط الحدود بين الدويلتين المتنازعتين ، لكش واوما . وسواء قام مسليم بهذه الخطوة باعتباره حكما محايدا عرف بعدله ورجاحة عقله

ام بصفته الملك الأعلى الذي تتبعه الدويلتان المتنازعتان ؛ فان النص قد اشار ضمنا الى وجوب قرار المحكم والالتزام بتنفيذه لانه يعكس ارادة الآلهة وفي مقدمتهم « الاله انليل ملك البلدان وابي الآلهة كلها » .

٣ ـ وفي هذا النص موضوع البحث يرد لأول مرة ايضا ذكر اقامة « منطقة محرمة » (في السومرية gan šugal mutubu) اي « الارض التي لا تعود ملكيتها لاحد » ؛ بين الدويلتين في محاولة اخرى لتسوية النزاع بينهما . كما ترد فيه اكثر من مرة الاشارة الى اقامة مسلات حجرية على الحدود منقوشة بكتابات لا شك في انها كانت تحمل تفاصيل عن تسوية الحدود.

٤ ـ يرد في هذا النص ذكر قوات مرتزقة كان قد «استاجرها» ، على حد تعبير النص السومري ، اورلوما ملك مدينة ادما لاستخدامها في حربه مع مدينة لكش .

٥ ـ ترد الاشارة الى ذكر الشبكة (في السومرية (awiln)) باعتبارها من الاسلحة التي كانت ترمى على العدو لارباك حركته وايقاعه في الأسر ، وسوف نتطرق الى ذكرها في موضع لاحق من هذا البحث عند الاشارة الى مسلة النسور في لكش .

ج ـ وثائق الملك اورو انمكينا :ـ

لم يرد في الوثائق التاريخية من عصر هذا الأمير ، الذي كان آخر حكام سلالة لكش الاولى ، اية اشارة الى قيامه باعمال عسكرية في الداخل او الخارج . وقد كرس جل اهتمامه الى اجراء اصلاحات اجتماعية واقتصادية جذرية تعتبر بحق من اقدم المحاولات الجريئة لاحقاق العدل الاجتماعي ورفع الظلم عن الطبقات الفقيرة . ويظهر من الوثائق التاريخية في زمن الامراء الذين سبقوا اورو انمكينا في الحكم ان كفة مدينة لكش كانت هي الراجحة في صراعها مع اوما ، غير ان ميزان القوى تغير لصالح الاخيرة بظهور زعيم قوي في مدينة اوما المناوئة هو الملك لوكال زاكيزي ، وقد وصلنا نص تاريخي من اورو انمكينا يتحدث فيه تفصيلا عن التجاوزات التي قام بها رجال اوما ضد مدينة لكش ، ويظهر واضحا من خاتمة النص ان اورو انمكينا لم يكن في مقدوره فعل شيء للحد من تصرفات رجال زاكيزي سوى الدعاء الى الآلهة لان تحمله وزر خطيئته وتنتقم منه لما فعلت يداه بمدينة لكش .

د ـ وثائق الملك لوكال زاكيزي :

كان لوكال زاكيزي ابنا لكاعن في مدينة اوما التي قلنا انها دخلت في منازعات طويلة مع لكش استمرت قرنا من الزمن ، وقد تمكن لوكال زاكيزي من توجيه ضربة سريعة الى لكش ومن بعدها الى اور والوركاء واتخذ من الاخيرة عاصمة له وبذلك اسس سلالة جديدة فيها عرفت بسلالة الوركاء الثالثة . وقد وصلنا منه نص تاريخي يذكر فيه ان الآلهة اعطته السلطة ليحكم في البلاد كما يذكر جملة من النعوت والالقاب التي اضفاها على نفسه مما يدل على قوته وسعة نفوذه ، ويظهر واضحا من النص موضوع البحث ان لوكال زاكيزي استطاع انجاز وحدة البلاد وذلك بتوحيد كافة دويلات المدن السومرية. اما في مجال الفتوحات الخارجية فيقول لوكال زاكيزي ان الاله انليل « اخضع له البلدان من مشرق الشمس الى مغربها وانه مهد السبيل له من البحر الأسفل (الخليج العربي) الى البحر الأعلى (البحر المتوسط) ، ثم يتحدث بعد ذلك عن استتباب السلام والأمان في عهده في كافة ارجاء البلاد وكيف ان المدن ، مثل اور والوركاء ولارسه واوما ، كانت تنعم باسباب الرخاء والازدهار.

٤ ـ الحرب والسلاح في المنحوتات الأثرية :

تعتبر المنحوتات الاثرية مصدرا مهما جدا عن الحرب والسلاح في عصر دويلات المدن السومرية حيث يجد فيها الباحث معلومات غزيرة عن الجيش والسلاح في بلاد سومر خلال الالف الثالث قبل الميلاد . واذا ما صرفنا النظر عن التفاصيل امكننا القول بان اهم القطع الفنية ذات العلاقة بهذا الموضوع هي الآتية :

ا ـ مسلة صيد الاسود من الوركاء :

من حجر البازلت وعليها مشهد بالنحت البارز يمثل صيد الاسود . ففي الحقل الاعلى يشاهد الصياد وهو يطعن بالرمح اسدا ، وفي الحقل الاسفل يشاهد وهو يسدد سهامه الى اسدين . ومما يجدر ذكره ان هذا الصياد ، بلحيته وزيه ، يشبه صورة الرجل الذي يظهر على مقبض سكين جبل العرق من مصر . ويعتقد المختصون ان تاريخ هذه المسلة يعود الى حدود ٣٠٠٠ ق.م.

ب ـ مسلة النسور :

عثر عليها في مدينة كيرسو (تلو) وهي من الحجر الجيري ، ارتفاعها ٨٥ر١م وعرضها ٣٠ر١م وتحمل نحتا

بارزا على الوجهين . تعود المسلة الى اياناتم امير لكش وتعتبر من الاعمال الفنية المهمة التي تسلط الاضواء على شؤون الحرب والسلاح خلال الالف الثالث قبل الميلاد وتعكس بعض المعتقدات السائدة عند سكان بلاد وادي الرافدين حول النصر والذي تعزوه الى فعل الآلهة . فعلى الوجه الاول من هذه المسلة يظهر إله مدينة لكش ، ننكرسو ، وهو يحمل بيده اليسرى شبكة اصطاد فيها اعداداً من اعداء مدينة لكش ويحمل بيده اليمنى صولجانا يهوي به على راس احد الرجال . اما على الوجه الثاني فنشاهد الامير اياناتم وهو يخوض المعركة في مقدمة جنده . ويحتوي هذا الوجه من المسلة على مشهدين احدهما فوق الآخر ، فنحن نرى في المشهد الأعلى الامير السومري يتقدم جنده وهو يعتمر خوذة معدنية تنتهي بطلعة في الخلف تجمع فيها جدائل الشعر عند الرقبة ، وتمتد الخوذة الى اسفل لتغطي الاذنين والرقبة . ويغطي جسم اياناتم جلد سميك ، ويظهر خلفه جنده وقدانتظموا في مجموعات على شكل (كراديس) . وتتكون كل مجموعة من ستة صفوف (لاحظ اسنة الرماح الستة والحلقات الست على الدرع) ويضم كل منها احد عشر محاربا (ربما عشرة جنود وضابط صف) . ويعتقد بعض الباحثين انه عند بدء المعركة كان عدد من جند المجموعة يقوم بحركة استدارة الى اليمين بينما يستدير البقية الى اليسار لتكون المجموعة لنفسها مقدمة أعرض تتالف من احد عشر جنديا وبعمق ستة صفوف . ان مثل هذا التشكيل يمكن المجموعة من استثمار طاقات جندعابشكل اوسع وافضل مما لو قاتلت بالتشكيل الاول عند التهيؤ (مقدمة من ستة جنود وبعمق احد عشر صفا) .

وفي المشهد الأسفل يظهر الأمير اياناتم في عربته القتالية وهو يحمل بيده اليسرى رمحا يهوي به على الاعداء ، ويبدو ان الأمير السومري كان يستعمل كلتا يديه في القتال فهو يحمل بيده الاخرى (اليسرى) ما يشبه السيف المنجلي مما اضطره الى ربط العنان حول العمود عند مقدمة العربة ، وتظهر العربة وهي مجهزة بالحراب بينما يظهر خلفها الجنود وهم يحملون الرماح . هذا وقدنقشت المسلة بكتابات مسمارية تتضمن نصا سومريا مطولا بين المشاهد البارزة ، يتحدث فيه الأمير اياناتم عن انتصاره على اوما وكيف انه قهرهم «بشبكته الكبيرة» وربطهم بعهد يلتزمون بموجبه بعدم التجاوز على الحدود المتفق عليها ، وقد أشهد على ذلك الاتفاق آلهة عديدة في مقدمتهم « الاله انليل ، ملك البلدان وابو الآلهة جميعا » .

جـ ـ شعار مدينة اور :

يعتبر شعار مدينة اور من القطع الفنية النفيسة وهو على قدر كبير من الاهمية لموضوع الحرب والسلاح في الالف الثالث قبل الميلاد ، ويتكون هذا الشعار من مشهدين رئيسيين أنجزا بطريقة التطعيم بالاصداف واللازورد والحجر الجيري الأحمر . ويتكون كل مشهد بدوره من ثلاثة حقول الواحد فوق الآخر . نشاهد في المنظر الأول (الحقل الاسفل) العربة السومرية ذات العجلات الاربع اثناء فعالياتها الحربية في ارض المعركة ، وتجر العربة اربعة حيوانات وفيها شخصان : السائق في المقدمة والمحارب (يحمل رمحا) في الخلف ، والراجح ان هذا الحقل يصور عربة واحدة في لحظات متفاوتة من هجومها على الأعداء الذين تبعثرت جثثهم على الارض . ففي الصورة الاولى تبدو العربة في حالة تهيؤ وفي الثانية في حالة انطلاق ثم تزداد سرعتها في الصورتين الثالثة والرابعة . وبعد ان أتمت العربات دورها في تشتيت صفوف العدو وبعثرة قواته يأتي دور المشاة (الحقل الثاني) وهم يتقدمون نحو ارض المعركة لقتل واسر من تبقى منهم . اما الحقل الثالث (الأعلى) فنشاهد فيهالملك السومري وقد ترجل من عربته وخلفه حرسه الخاص وقد مثل امامه اسرى العدو .

أما المنظر الثاني والذي يتكون من ثلاثة حقول أيضا، فانه يصور في الحقلين الاسفل والأوسط عملية نقل الغنائم (امتعة ، اغنام وابقار) ، بينما يصور الحقل الثالث (الأعلى) احتفال الملك بالنصر مع كبار رجال الدولة . اذ يظهر الملك جالسا وهو يحمل كاسا بيده اليمنى وقد جلس امامه عدد من الرجال يحمل كل منهم كاسا بيده ؛ بينما يشاهد في الطرف البعيد من المنظر امراة تغني على انغام عازف القيثارة .

٥ ـ اسلحة عصر فجر السلالات السومرية :

ا ـ الرمح والحربة :

استعمل انسان العصور الحجرية الرماح والحراب على حد سواء . وترينا المنحوتات الأثرية التي تعود الى نهاية الالف الرابع (٣٠٠٠ ق٠م) ان الرمح الطويل ذا السنان الورقي الشكل كان واسع الانتشار في هذا العصر . وبقدر ما يتعلق الامر بوادي الرافدين فان اقدم الآثار التي صورت الرمح هي مسلة صيد الاسود المكتشفة في مدينة الوركاء حيث نشاهد صيادا يطعن اسدا بالرمح .

وبقي الرمح سلاحا فعالا خلال الالف الثالث ق.م فكان السلاح الرئيسي للمشاة السومريين وكذلك للمقاتلين في المركبات الحربية . وتساعد في مسلة النسور للامير اباناتم أن الجنود كانوا مزودين برماح طويلة ذات اسنة ورقية يحملونها بشكل افقي اثناء الهجوم على العدو بينما يرفعونها مائلة على الاكتاف اثناء السير . لقد كان سنان الرمح ينتهي بسيلان معقوف يثبت بالقناة الخشبية .وفي النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد ابتكرت طريقة جديدة لتثبيت السنان وذلك باحداث ثقوب في أسفل السنان يمرر فيها سير او خيط متين ومن ثم يشد السنان بالقناة الخشبية .

اما الحراب فمعروف عنها انها رماح قصيرة وقد استعملها السومريون على نطاق واسع في المركبات الحربية . ومما تجدر ملاحظته ان المقاتلين في المركبات السومرية في عصر فجر السلالات لم يستخدموا القسي والسهام كسلاح وانما استخدموا الحراب . ولذلك فان عرباتهم كانت مزودة بجعب للحراب (لا للقسي) كما يظهر ذلك جليا من شعار مدينة اور .

ب ـ القوس :

كان القوس من اسلحة الرمي التي عرفها انسان العصور الحجرية وقد احدث استعماله تطورا كبيرا في عملية صيد الحيوانات والطيور . كما ان هناك بعض الرسوم على جدران الكهوف تصور استخدامه من قبل انسان تلك العصور في المعارك . ويظهر القوس على المنحوتات السومرية في العصر الشبيه بالكتابي في نهاية الالف الرابع قبل الميلاد ، اي في حدود ٣٠٠٠ ق.م، فقد عثر في مدينة الوركاء على مسلة من حجر الكرانيت سميت بمسلة الاسود لانها تصور رجلين احدهما يطعن اسدا برمح والآخر يرمي سهامه على اسدين .اما القوس الذي يحمله هذا الصياد فانه من النوع البسيط وشكله نصف دائري . ومما تجدر ملاحظته أن بدن هذا القوس مصنوع من الخشب السميك لاعطائه قوة كبيرة كما ان نهاية طرفيه معقوفة الى الخارج لمنع انزلاق الوتر عند سحبه اثناء الرمي . ويظهر أن استعمال القوس في هذا العصر كان مقتصرا على الصيد بدليل عدم ظهوره مع بقية الاسلحة التي كان يحملها الجنود السومريون في عصر فجر السلالات ولكن مما لا شك فيه انه كان للقوس دور فعال في العصر اللاحق ، اي العصر الاكدي (ابتداء من ٢٣٧٠ ق.م) حيث تطور من « القوس البسيط » الى ما يعرف بـ « القوس المركب » وشاع استعماله على نطاق واسع جدا في الحروب .

جـ ـ الفاس

واحدة من أقدم الاسلحة التي صنعها الانسان في العصور الحجرية واستخدمها كاداة في شؤون حياته اليومية وكسلاح لدرء الخطار عن نفسه . أما في عصر فجر السلالات ، الذي نحن في صدده الآن والذي شاع فيه التعدين واستخدام المعادن في صناعة الادوات والاسلحة ، فان اقدم فاس معدنية (من النحاس) وصلت الينا لحد الآن تلك التي عثر عليها في موقع تبه‌كورا قرب الموصل والتي يعود تاريخها الى عصر العبيد الشمالي (في حدود ٣٥٠٠ ق.م) . وقد شهد الالف الثالث قبل الميلاد ظهور انواع مختلفة من الفؤوس المعدنية التي ظلت في الاستعمال الى عصور لاحقة . ويمكن القول بصورة عامة ان الفاس في عصر فجر السلالات السومرية كانت على نوعين رئيسيين : الاول الفاس التي ينتهي نصلها بسيلان اما الثانية فهي التي كان لها تجويف . ومعروف انه كان للتجويف اثر كبير في اعطاء النصل ثباتا وزخما كبيرين بفضل اتصاله المحكم بالمقبض . وقد تميز هذا العصر بظهور نوع معين من الفؤوس لخرق الخوذ المعدنية التي كان يضعها الجنود اثناء المعارك . وفاس الخرق هذه مصنوعة من النحاس ولها نصل طويل وضيق يتخذ شكلا دائريا عند الحافة . وقد ذكرنا قبل قليل أن ظهور هذا النوع من الفؤوس كان بمثابة اجراء ضد استعمال الخوذ المعدنية التي بدات تظهر على رؤوس الجنود في منحوتات عصر فجر السلالات .

د ـ الخنجر :

كشفت التنقيبات الاثرية في المقبرة الملكية في مدينة اور عن مجموعة نفيسة من الخناجر الثمينة التي صنع بعضها من الذهب الخالص . وتتميز هذه الخناجر بنصل طويل نسبيا له حافة حادة على الجانبين . ولان مثل هذه الخناجر مصنوع من معدن لين (كالذهب او النحاس)؛ لذلك عمد الصانع الى جعل نصله سميكا في جزئه الاوسط اكثر من بقية اجزائه الاخرى بحيث يبدو هذا الجزء بارزا بعض الشيء وذلك لاعطاء النصل مزيدا من الصلابة والقوة . وكان المقبض يصنع عادة من مادة مختلفة كان تكون من حجر اللازورد او الخشب او العظم ويجري تثبيته في نهاية النصل بواسطة مسامير . وتأخذ نهاية المقبض

اشكالا مختلفة كان تكون ورقية الشكل او كروية واحيانا على شكل هلال كالخنجر الذي اكتشف في المقبرة الملكية اور والذي صنع مقبضه الهلالي من الذهب ونصله من اس . وبطبيعة الحال فان استعمال مثل هذا المقبض لا يتيح لماسكه الطعن بالخنجر الا باتجاه الامام . ن تتيح المقابض الاخرى تحريك الخنجر باتجاهات فلفة . ولاحد الخناجر الذهبية في اور غمد مصنوع من هب ايضا وهو مزين بزخارف مشبكة على الواجهة ؛ ما قفاه فيحتوي على فتحتين عموديتين يمر فيهما الحزام.

هـ ـ السيف المحدب (المنجلي) :

يظهر على منحوتات عصر فجر السلالات ما يعتقد بانه سيف قصير يشبه المنجل ؛ ومن الامثلة على هذا السيف ذلك الذي يحمله الامير اياناتم في يده اليسرى على مسلة النسور من لكش . وهناك مثالان آخران ايضا . احدهما على قاعدة العمود من مدينة لكش حيث نشاهد رجلين أحدهما يحمل السيف المنجلي والآخر يحمل رمحا . اما المثال الآخر فانه من مدينة ماري حيث نشاهد جنديا يحمل فأسا ذات تجويف وسيفا من هذا النوع الذي نحن في صدده الآن . وتدل هذه الامثلة على ان السيف ذا الشكل المنجلي قد ظهر في سومر في حدود ٢٥٠٠ ق.م.

و ـ الصولجان :

سلاح فعال في الاشتباك القريب ؛ يصنع راسه من الحجارة او المعدن وفي اسفل الراس تجويف لتثبيت المقبض ؛ وكشفت التنقيبات عن صولجانات على شكل كرات من النحاس يعود تاريخها الى ٣٥٠٠ ق.م . وهناك صولجان حجري فريد يعود الى ميسليم ملك كيش عثر عليه في مدينة كيرسو (تلو) ؛ ويحمل الصولجان اسم الملك ميسليم ورسومات بالنحت البارز لحيوانات على شكل أسود . وقد عثر ايضا في تل عقرب (منطقة ديالى) على صولجانين من الحجر على شكل كمثرى ويرجع تاريخهما الى حدود ٢٥٠٠ ق.م . ومن اجل زيادة فعل الصولجانات الحجرية باحداث جروح عميقة في الخصم ؛ فقد كان يجري استحداث خطوط ونتوءات بارزة على سطح الصولجان بطريقة النحت البارز . ومن المعروف أن الصولجان يعتبر من الاسلحة الفعالة خاصة عندما يكون الخصم حاسر الراس ؛ او بدون درع يحمي جسده . ومما تجدر ملاحظته انه عندما بدأ الجنود السومريون يظهرون على المنحوتات وهم يلبسون الخوذ والدروع سرعان ما ظهر نوع جديد من السلاح له القدرة على خرق وسائل الحماية تلك الا وهو الفاس المعدنية الخارقة. هذا وان اقدم الآثار التي تصور استخدام الصولجان كسلاح في بلاد وادي الرافدين المنظر الذي يصور الاله ننكرسو وهو يهوي بالصولجان على احد رؤوس الاعداء ممن وقعوا في شبكته العظيمة .

ز ـ الشبكة :

ورد في النصوص المسمارية من عصر فجر السلالات ذكر الشبكة كسلاح يستعمل ضد العدو كما صورت الشبكة على مسلة النسور من لكش . فيذكر انتمينا ، امير سلالة لكش الأولى ، في معرض حديثه عن الصراع مع مدينة اوما المجاورة ان إلهه ننكرسو قهر الاعداء «وانه اصطادهم في شبكته الكبيرة » (في السومرية ( )) . وتاكيدا على هذا الادعاء، فقد صور الاله ننكرسو على مسلة النسور العائدة للامير اياناتم وهو يصطاد جند العدو في شبكته . من جهة اخرى تذكر قصة الخليقة البابلية ان كبير الآلهة البابلية مردوخ كان قد حمل معه الشبكة ضمن اسلحته العديدة الأخرى لمواجهة قوى الشر المتمثلة بالآلهة تيامة .

ح ـ المركبة الحربية :

ان معظم الاسلحة التي جئنا على ذكرها من عصر فجر السلالات سبق وان استعملها انسان العصور الحجرية قبل ذلك بازمان طويلة ، باستثناء المركبة الحربية التي نشاهدها لأول مرة على الآثار السومرية من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . ولا شك في ان استخدام المركبة كوسيلة حربية قد أحدث تغييرات جوهرية على سير المعارك ونتائجها . وحظيت العربة باهتمام كبير في مجال الحياة الاقتصادية والعسكرية على حد سواء، منذ ظهورها في هذا العصر وحتى آخر الادوار الحضارية في تاريخ العراق القديم . وبقدر ما يتعلق الامر بالمركبة الحربية فانها حظيت على وجه الخصوص بعناية الفنيين في القوات المسلحة من أجل تطويرها وتحسينها باستمرار بقصد زيادة كفاءتها القتالية وسرعتها وقابليتها على المناورة حتى وصلت المركبة في العصور التاريخية المتاخرة ؛ خاصة في العصر الآشوري الحديث ، ذروة القمة في درجة الاتقان . وكدليل على اهمية المركبة عند الاقدمين انفسهم فقد حفظت لنا المعاجم اللغوية السومرية والبابلية ، أسماء عديدة لاصناف من العربات واسماء اجزائها

(كالبدن والمقدمة والمؤخرة والعمود والنير والمنصة والمحور والعجلات ...) كما ان هناك مفردات لغوية تشير الى مركبات مصنوعة من البردي واخرى استخدمت فيها المعادن لاعطائها مزيداً من المتانة واخرى ايضا استخدمت فيها الجلود لتغطية اجزائها .

كانت المركبة الحربية السومرية مزودة بدولابين او باربعة دواليب . وكانت المركبة ذات الدواليب الاربعة تتسع لمحاربين ، احدهما قائدها والآخر محارب . ومن الامثلة القديمة على هذا النوع من المركبات ما نشاهده على جرة فخارية من منطقة ديالى يعود تاريخها الى حدود ٢٨٠٠ ق.م. وكذلك المركبات المصورة على شعار مدينة اور الذي سبقت الاشارة اليه . وهناك نماذج طينية ومعدنية لمركبات ذات دولابين عثر عليها في المواقع الاثرية ما يدل على انها كانت في الاستعمال في عصر فجر السلالات . وكانت المركبة الواحدة تجرها اربعة حيوانات (اونيكر) ولعل ذلك بسبب ثقلها ، كما يلاحظ في نماذج المركبات ذات العجلتين زيادة في عرض محورها بحيث انه يساوي ضعف عرض المنصة مما أدى الى بروز الدولاب بشكل واضح من الجانبين . ولا شك في ان مثل هذا الاجراء كان من شانه ان يمنع انقلاب المركبة في حالة السرعة عند المنعطفات . وتتميز مركبات عصر فجر السلالات بدواليبها الصماء الثقيلة ، اذ من المعروف ان الدواليب ذات الشعاعيات لم تظهر الا في وقت لاحق في بلاد وادي الرافدين . كما أن محيط الدولاب كان صغيرا مما جعل المركبة تبدو قليلة الارتفاع عن الارض قياسا بمركبات العصور اللاحقة . ويبدو واضحا من رسوم المركبات على آثار هذا العصر ان دواليبها كانت تصنع من عدة قطع من الخشب السميك يجري تثبيتها مع بعضها بسامير خشبية . ويظهر من بعض هذه الرسوم ايضا انه كانت تفرس على حافز الدولاب مسامير معدنية على شكل نتوءات بارزة لضمان دوران الدولاب في الارض الرخوة . وقد استمرت هذه الطريقة في العصور اللاحقة ايضاً .

يظهر المقاتل السومري في المركبة الحربية مسلحا بالرمح اذ ان القوس ، كما قلنا ، لم يستخدم بعد على ما يظهر للاغراض الحربية وانما لغرض الصيد بالدرجة الاولى . ومعروف ان قائد المركبة كان يمسك بالأعنة التي تشد في رؤوس الحيوانات . وكانت الاعنة تصل الى يديه بعد ان تمر في حلقتين معدنيتين مثبتتين على عمود العربة بالقرب من النير . والغرض من هاتين الحلقتين منع تشابك الاعنة وضمان انسيابها الى يد قائد العربة بمجموعتين الاولى من الحلقة اليمنى والثانية من اليسرى . وكان قائد العربة يمسك بالأعنة مجتمعة في يده اليسرى والسوط في اليمنى . وكان بمقدوره ، عند تقتضي الضرورة ، لف الأعنة حول القسم الأعلى من العربة ليتسنى له استخدام كلتا يديه في القتال كما واضح من مسلة النسور للامير ايانانم .

تجهيزات الوقاية :

اهتم السومريون كثيرا بتوفير تجهيزات الوقاية التي من شانها توفير الحماية لجسم المقاتل ؛ وكان من اهم تلك التجهيزات الخوذة المعدنية لتغطية الراس والدرع لحماية الجسم والترس اليدوي لصد ضربات الخصم ونباله . ويمكن الباحث أن يتعرف على تجهيزات الوقاية هذه من خلال الآثار الفنية التي تصور جانبا من المعارك الحربية وخاصة مسلة النسور وشعار مدينة اور. ومما يلاحظ في الخوذة السومرية انها تكون مدببة قليلا وتغطي الأذنين والجزء الخلفي من الرقبة وتنتهي في الخلف بطلعة لاحتواء الشعر . وكان من بين الآثار النفيسة المكتشفةفي المقبرة الملكية في اور خوذة ذهبية من هذا النوع ، وقد بقيت الخوذة السومرية في الاستعمال في العصر الاكدي اللاحق .

اما الدرع فانه عبارة عن جلد سميك يلبس فوق الثياب .ونشاهد هذا النوع من الدروع في مسلة النسور حيث يظهر الامير ايانانم في مقدمة جنده وهو يغطي جسمه بجلد واق سميك مبطن بشكل مائل . كما نشاهد في شعار مدينة اور الجنود السومريين وهم يلبسون اقبية طويلة من الجلد تصل الى القدمين وهي مزودة بازرار من المعدن لزيادة متانتها .

واتراس هذا العصر على نوعين . الأول وهو الترس المستطيل الذي نشاهده على مسلة النسور حيث يحمل الجند السومريون تراسا مستطيلة الشكل تمتد حتى القدمين . والراجح أن هذه التراس مصنوعة من الخشب المغلف بالجلد . ونلاحظ هنا مرة اخرى أنها مزودة بحلقات معدنية دائرية لاعطائها المزيد من المتانة . اما النوع الثاني فهو صغير الحجم نسبيا وله مقبض فيالخلف وقد شاهدناه لاول مرة على قاعدة العمود الحجري من لكش .

خلاصة البحث :

حاولنا ان نبرز من خلال هذا البحث المنجزات السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات السومرية في ضوء ما يتوفر من مصادر مدونة في الكتابات المسمارية ومشاهد حربية على المنحوتات ، ويمكن ايجاز خلاصة البحث بالنقاط الآتية :

١ ـ ان اقدم الجيوش المعروفة في العراق القديم تعود الى زمن فجر السلالات ابتداءً من حدود ٣٠٠٠ق.م وهي تتمثل بالقوات العسكرية التي كانت تمتلكها دويلة المدينة السومرية والتي كان هدفها حماية الدويلة اثناء تعرضها الى الإخطار . غير انه ينبغي ان نلاحظ بان مثل هذا الجيش لم يكن دائميا .

٢ ـ ان اقدم الصنوف الحربية المعروفة في بلاد سومر هو صنف المشاة المدعوم بصنف العربات كما يظهر ذلك واضحا من مسلة النسور ومن شعار مدينةاور .

٣ ـ كان الأمير او الملك في دويلة المدينة السومرية هو القائد العام للقوات المسلحة وكان يشارك في المعارك وبقي الأمر كذلك في كل العصور التاريخية اللاحقة دون استثناء .

٤ ـ كان نظام الصف (الكراديس) هو اسلوب القتال المتبع في عصر دويلات المدن السومرية كما يظهر ذلك من مسلة النسور .

٥ ـ تشير الكتابات المسمارية وكذلك المنحوتات من عصر فجر السلالات والعصور التاريخية اللاحقة الى ان سكان بلاد وادي الرافدين كانوا يؤمنون بان النصر تحققه الآلهة وقد اتخذوا من الإلهة عشتار ربة للحرب وصوروها على المنحوتات على اسد رمز القوة والبطش .

مراجع :

حول التطورات السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات انظر :
الاستاذ طه باقر ، د. فاضل عبدالواحد علي ، د. عامر سليمان :
تاريخ العراق القديم ، الجزء الاول ١٩٨٠ .
يجد القارىء ترجمة للنصوص السومرية الخاصة بامراء وملوك عصر فجر السلالات السومرية في ملحق كتاب الاستاذ :
Kramer , The Sumerians , 1963 ....
اما بخصوص المنحوتات الاثرية ذات العلاقة بالجيش والسلاح في عصر فجر السلالات فيراجع حولها :
Parrot , Sumer , 1961
سيتون لويد : آثار بلاد الرافدين (مترجم) ١٩٨٠ .
حول آخر الآراء في شان الاسلحة المكتشفة في المدافن الملكية في اور ، انظر :
Watkins , Sumerians Weapons , Warfare and Warriors

شكل (١) مسلة صيد الاسود من الوركاء تصور استخدام الرمح والقوس (في حدود ٣٠٠٠ ق.م)

شكل (٢) نحت بارز على الجزء الاسفل من عمود داتري من لكش يصور رجلا يحمل بيده اليمنى سيفا على شكل منجل وباليسرى ترسا وهو يقابل محاربا يتسلح بالرمح (٥٠٠ ق.م)

شكل (٢) محارب من ماري (تل الحريري)
يحمل فأسا شبيهة بفاس اور
وسيفا على شكل منجل

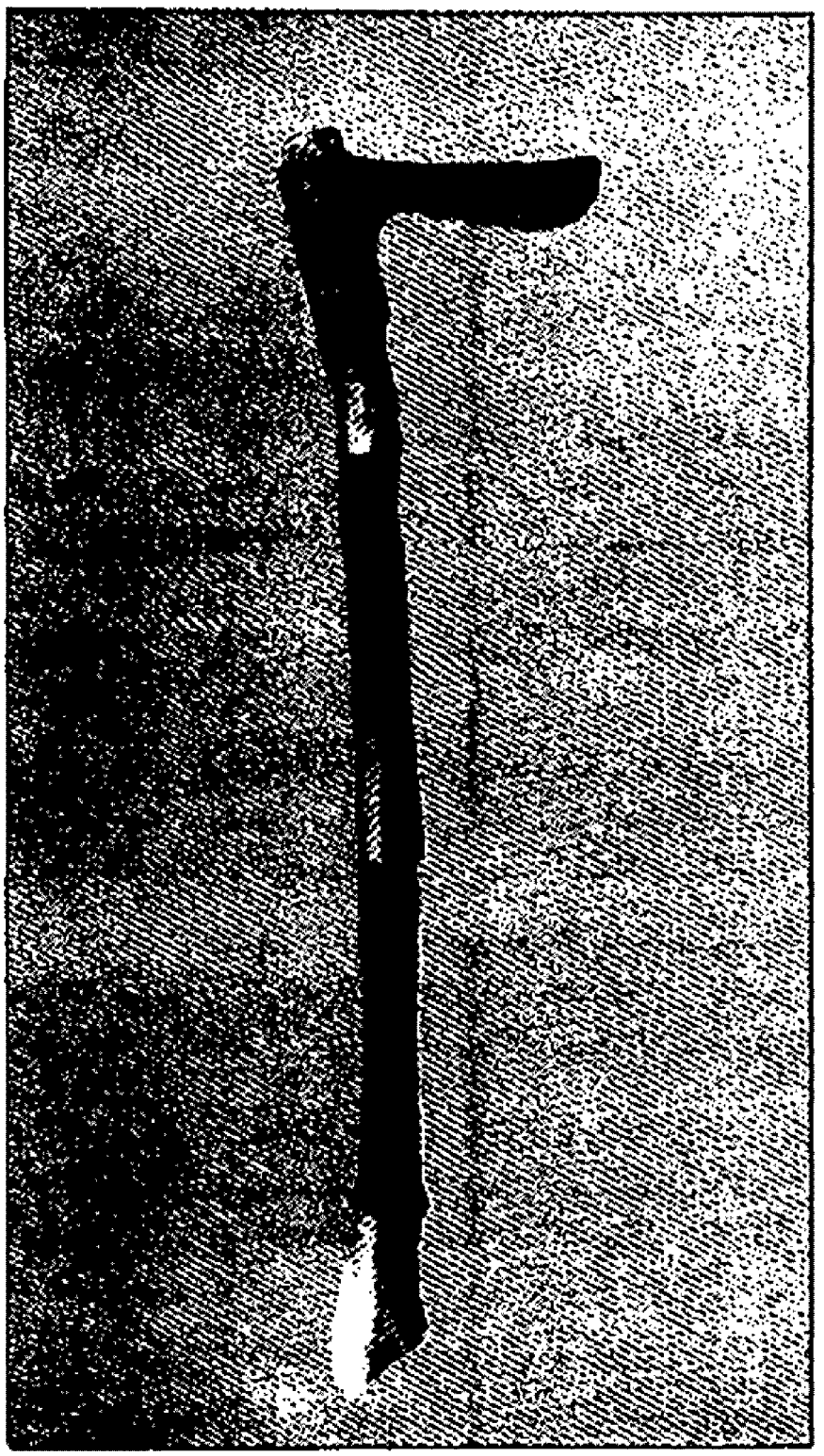

شكل (٤) فاس حربية من المقبرة الملكية في
اور (٢٥٠٠ ق.م) ذات يد خشبية
طويلة عليها اشرطة من الذهب

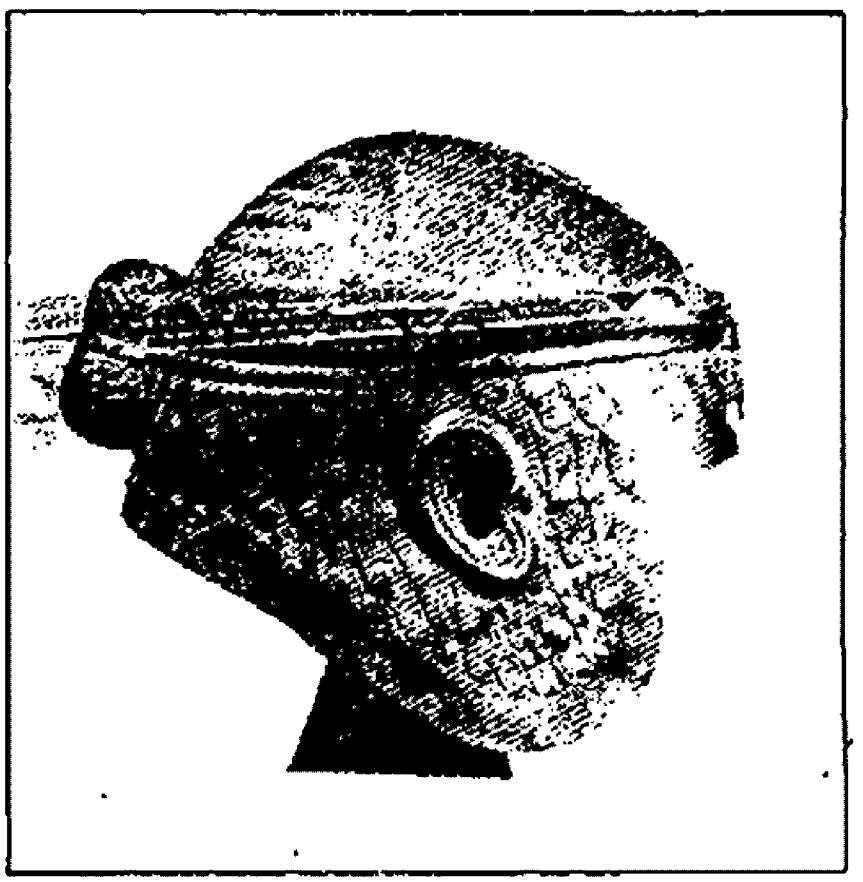

شكل (٥) خوذة من الذهب
(المقبرة الملكية في اور ٢٥٠٠ ق.م)

WWW.ATTAWEIL.COM

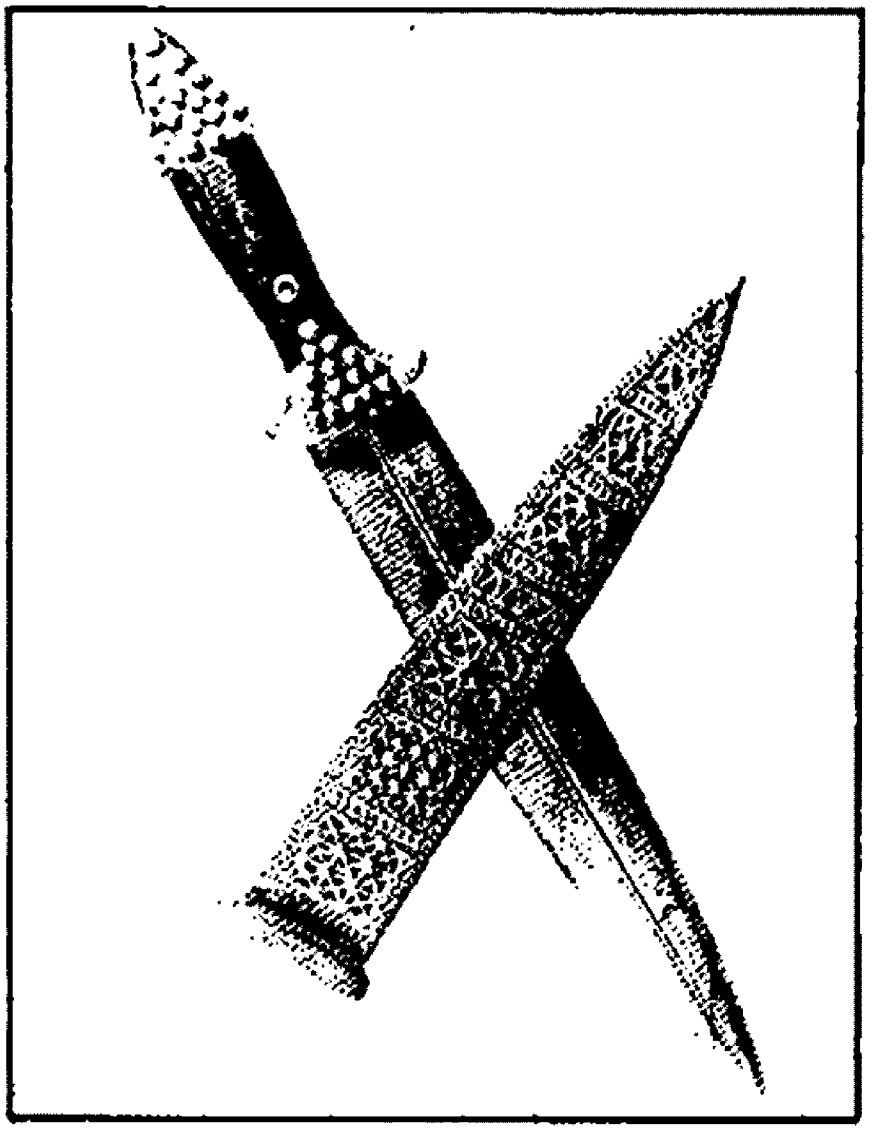

شكل (٦) خنجر من الذهب مع غمده
(المقبرة الملكية في اور ٢٥٠٠ ق.م)

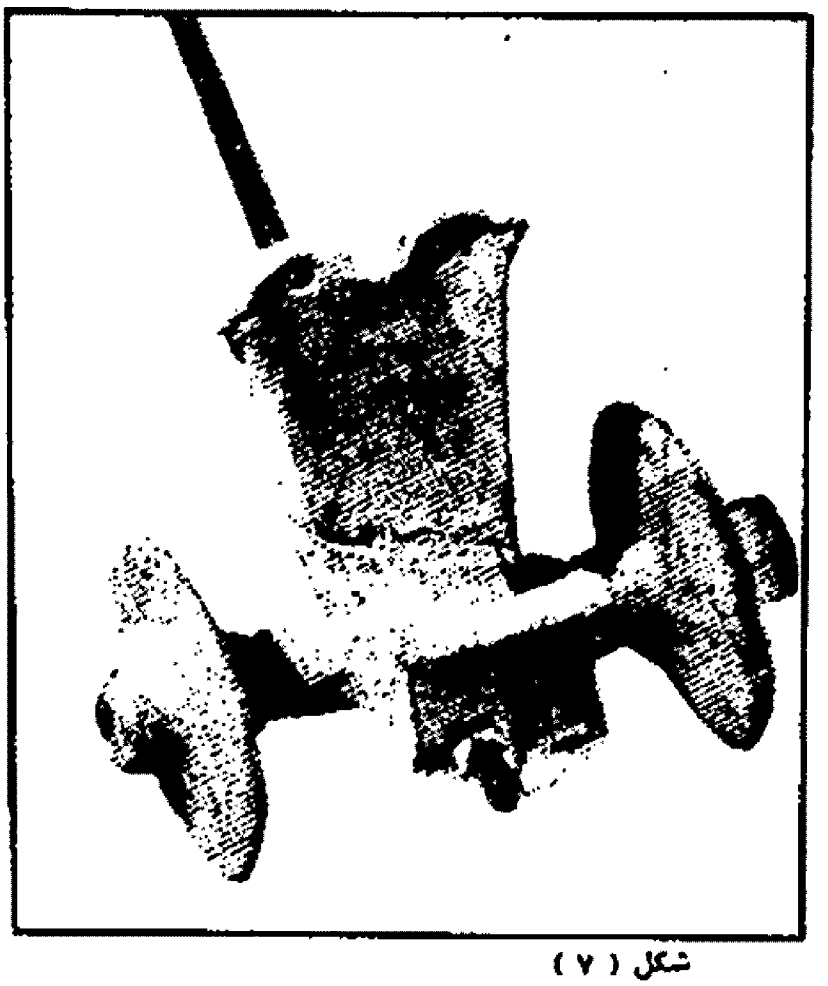

شكل (٧)
نموذج من الطين لعربة سومرية ذات عجلتين . لاحظ وجود ثقبين في صدر العربة لمرور طرفي العنان فيهما (٢٨٠٠-٢٧٠٠ ق.م)

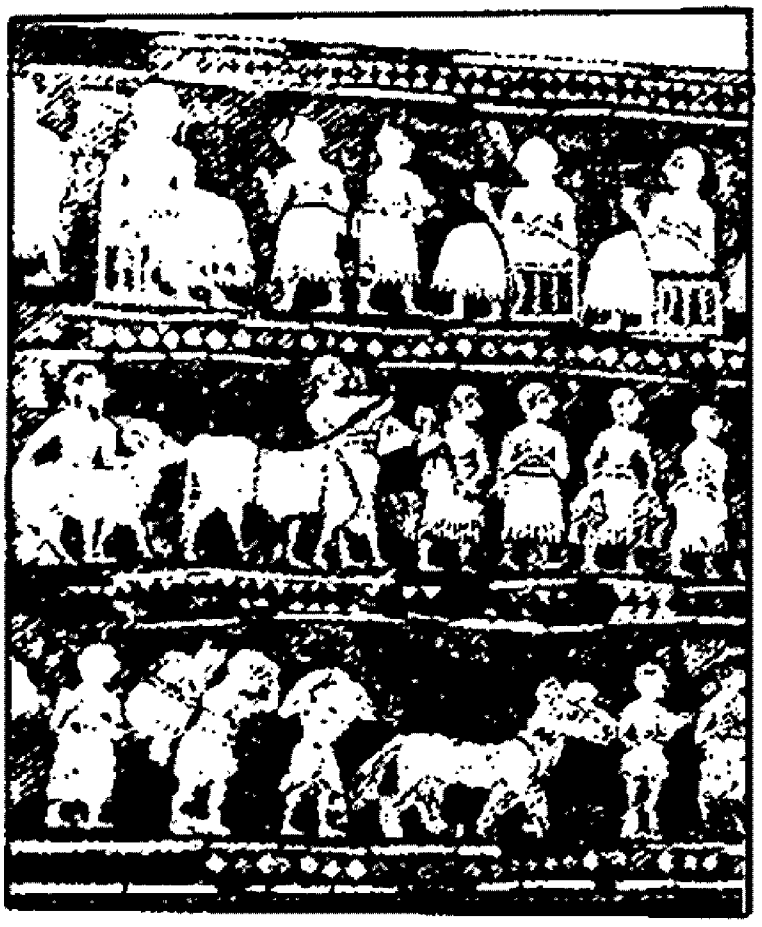

شكل (٩) مقطع من شعار مدينة اور
القنائم تحمل بعد حسم المعركة (الحقلان الاسفل والاوسط) ، والملك السومري يحتفل بالنصر مع كبار رجال الدولة (الحقل الاعلى).

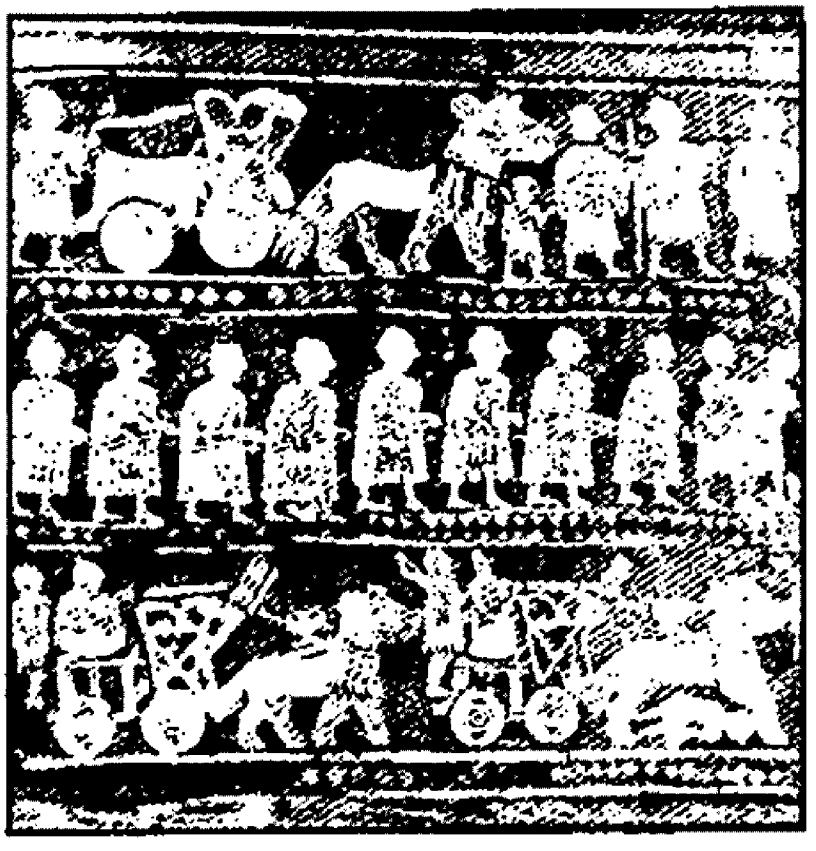

شكل (١٠) مقطع من شعار مدينة اور
الحقل الاسفل العربات الحربية اثناء المعركة
الحقل الاوسط المشاة السومريون يدخلون المعركة برماحهم الطويلة
الحقل الاعلى الملك السومري يترجل من عربته بعد حسم المعركة
(الالف الثالث قبل الميلاد)

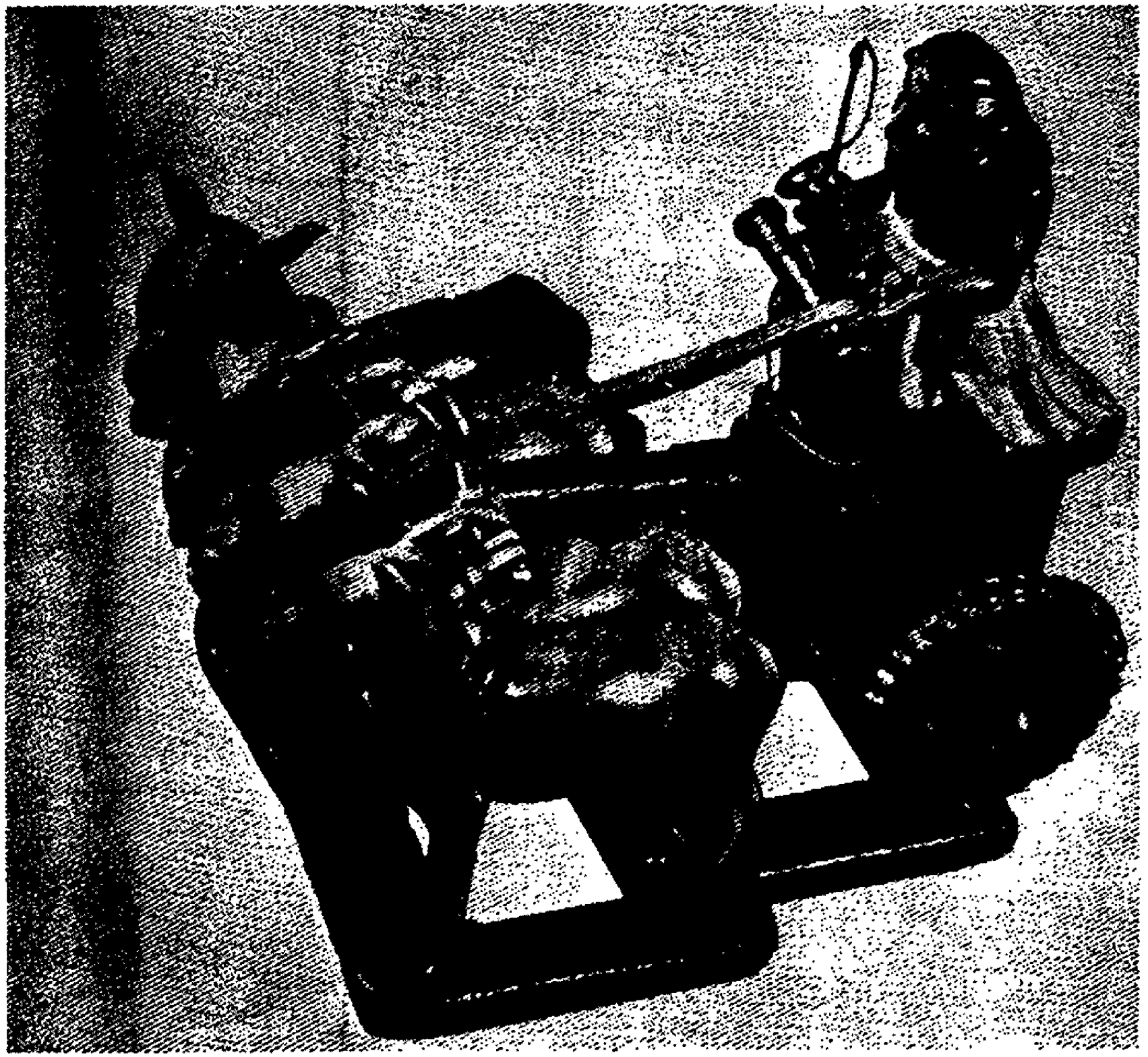

شكل (٨)

نمـوذج لعربـة حربيـة من
تل عقرب في دبالى (عصـر
فجر السلالات الثاني ٢٧٠٠ـ
٢٥٠٠ ق.م)

شكل (١١) مسلة النسور

اياناتم أمير لكش يتقدم جنده المشاة الذين يظهرون بتشكيل على هيئة صف. وفي الحقل الاسفل الامير السومري ي عربته وخلفه جنده يحملون الرماح على اكتافهم (عصر فجر السلالات ٢٥٠٠ ق.م)

شكل (١٢) مسلة النسور

الاله ننكرسو يصطاد الاعداء في شبكة ويهوي بالصولجان على راس احدهم

WWW.ATTAWEIL.COM